وظائف الشخصية في النصوص الطفّية

أ.د .عامر صلال الحسناوي
ابتهال حسن كاظم

ملخص البحث:
لما كانت الشخصية من أهم العناصر التي يبنى عليها العمل السيري فهي العنصر الثابت في السلوك الإنساني وطريقه المرئي في مخالفة الناس والتعامل معهم، وهي المكون الأول للعمل السردي، والتي تكشف النقاب للقارئ عن مغزى الحياة الاجتماعية لمجتمع من المجتمعات، كما أن الشخصية في واقعها ليست نشاطًا حيويًّا فحسب، أو اندماجًا اجتماعيًا، بل هي مجموع منتظم من المؤهلات الفطرية والمكتسبة تؤهله للتكيف بكل ما يحيط به من كائنات حية وجامدة، لذا كانت وظائفها من أهم مصاحباتها التي لا تنفك عنها لأَن الوظيفة هي عمل الشخصية، من هنا سندرس في هذا البحث وظائفها ومن أهمها وظيفة غيابها، ووظيفة التحذير، ووظيفة الاقناع، ووظيفة الشر، مع مصاديق وأمثلة من سيرة الطف .

الكلمات المفتاحية : وظائف ، الشخصية، الطف.

Research Summary
Since the personality is one of the most important basic elements on which the biographical work is based, and it is the constant element in human behavior and its visible way of violating people and dealing with them, and it is the first component of the narrative work, and it is the one that reveals to the reader the significance of the social life of a society, just as the personality is in its reality It is not only a vital activity, or social integration, but it is a regular set of innate and acquired qualifications that qualify it to adapt to all living and inanimate objects that surround it, so its functions were among the most important companions that do not cease from it because the job is the work of the personality, from here we will study in this research Its functions, the most important of which are the absence of personality, the function of warning, the function of persuasion, and the function of evil, with evidence and examples from the biography of al-Taff

المقدمة

تعد الشخصية من أهم التقانات في السرد السيري، من هنا سنتناول في هذه الدراسه الشخصية من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاحي، ووظائف الشخصية، بحسب النموذج الثلاثي لبروب، أو لهامون وغيره من العلماء الذين تناولوا تصنيف الشخصية وفق أُسس ورؤى متعددة.

الشخصية من حيث اللغة: الشخصية لغة: ورد إيضاح المعنى اللغوي للشخصية في معجم لسان العرب، في مادة شين، خاء، صاد، بقوله: (الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص، والشخص سواء كان إنسان وغيره ممانراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه)[1].

وفيها اشارة إلى معنى الشخوص والتميز، والبروز، والوضوح، وهي أيضا (صفات تميز الشخص عن غيره، ويقال فلان ذو شخصية قوية وصفات متميزة، وإرادة وكيان مستقل)[2]، وهو ما يشير إلى الخصائص المادية والمعنوية التي تميز الشخص عن غيره من أشخاص من بني جنسه المشابه له.

مفهوم الشخصية في الاصطلاح

تعد الشخصية من العناصر الأساسية التي يبنى عليها العمل الأدبي سواء كان سردياً أم لا ؛ إذ إنها تمثل العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر التشكيلية الأخرى[3]، وهي ((عنصر ثابت في السلوك الإنساني وطريقه المرئي في مخالفة الناس والتعامل معهم، والتي يتميز بها عن الآخرين))[4]، وهي المكون الأول للعمل السردي لدى الروائيين[5]، تكشف النقاب للقارئ عن مغزى الحياة الاجتماعية لمجتمع من المجتمعات[6]، وقد أشارت المعجمات الى أنها ((كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا، وهي عنصر مصنوع ومخترع لكل عناصر الحكاية فيتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها))[7]،كما أن ((الشخصية في واقعها ليست نشاطًا حيويًا فحسب أو اندماجًا اجتماعيًا، بل هي مجموع منتظم من المؤهلات الفطرية والمكتسبة تؤهله للتكيف بكل ما يحيط به من كائنات حية وجامدة، وهي العامل الأساس في تحقيق الأثار الفنية، وهي التي تسبغ عليها طابعًا خاصًا))[8]، ومن المسلمات أن يقوم كاتب السيرة بالتعريف والتنظير للشخصية المتحدث عنها؛ فيروي أقوالها وأفعالها وانفعالاتها في صيرورة الحكاية إلى نهايتها، التي قد تعني نهاية الشخصية أو نهاية مغامرتها أو شدة الاهتمام بها[9]، كونها عنصرًا أساسيًا وتقنية مهمة من تقنيات السيرة والنص السيري، وهي العمود الفقري فيها، وهي التي تقوم بتحريك الأحداث وتطويرها في النص السيري .

كما إن((الشخصية في حركتها وسكونها تشير إلى الصفات الخلقية، والجسمية، والمعايير والمبادئ والاخلاق، ولها في الأدب معاني نوعية أخرى وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله رواية أو قصة))[10] إذ إنها تشير إلى صفاته السيكولوجية، ومبادئه ومعتقداته وكل ما يتعلق به مما يرسم الصور عنه في أذهان الآخرين، ويميزه عن غيره، فلا يمكن بعد ذلك أن نتصور سيرة، أو رواية، أو سرد من دون شخصيات؛ لأنها القطب الذي يتمحور حوله العمل السردي، والشخصية السيرية في النطاق الأدبي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لاستناد الوظائف اليها فهي التي تصطنع اللغة وتثبت وتستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة وتنهض بدور تغريم الصراع وتنشيطه من خلال اهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب وتتحمل انواع العقد والشرور وانواع الحقد واللؤم وتنوء بها ولا تشكو منها، وهي التي تعمر المكان تملأ الوجود صياحا وضجيجا وحركة وعجيجا مع الزمن في ماضيه وحاضره ومستقبله[11] وتمنحه معنى جديدا تعطي المتلقي جاذبية كبرى تشده للنص ولو كان بعيدا يغور في اعماق التاريخ، وهذا ما سنجده في شخصيات الطف فإنها اضطلعت بجميع الأدوار وأدارت الحوار ونهضت بالصراع وكانت العواطف تغلي وتفور، وتتعارض وتتقاطع وتتنافر، وكانت الشخصيات تتقاطع فكريًا، وماديًا، وعقائديًا، كما إن بعضها تحمل الشرور والمصائب والأقدار، والأفراح، والأحزان، ليظهر لنا أصنافا من الشخصيات يصعب إحصاؤها في بحث واحد.

وظائف الشخصية بين ثبات الجوهر وتغيّر العرض

يمكن للشخصية أن تؤدي وظائف متنوعة في السرد السيري استنادا إلى ما تتمتع به من سجايا وملكات وصفات، واستنادا إلى طبيعة الأدوار الذي تظهر بها في السيرة المتوافرة والحاضنة للشخصية، ومن هنا تعددت طرائق رسم الشخصية وتصويرها فكانت الطريقة الوصفية أو التصويرية لحركات الشخصية وفعلها وحوارها، وهناك الطريقة التحليلية المنغمسة في المونولوج الداخلي للشخصية تصور ما يدور بداخلها من افكار وانفعالات، والطريقة الوظيفية القائمة على وصف احوال الشخصية وعواطفها من الخارج بطريقة مباشرة بشرح عواطفها وبواعثها واحاسيسها تارة، وبما تعبر به الشخصية بنفسها عن نفسها تارة اخرى بطريقة غير مباشرة[12]، وهذا ما انتهجه فلاديمير بروب في تصنيفه التلقائي للشخصية انطلاقا من حكاية الجنايات الروسية، ويصل إلى تحديد سبعة مجالات للأفعال كالمعيق، والمانح، والمساعد، والبطل، والبطل الزائف، والموكل أو الآمر، والمانح، لتتطابق مع الأدوار التي تؤديها الشخصية[13] وينطلق في تحديد وظائف الشخصيات السيرية من ضرورة دراسة الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلي لا على التصنيف الخارجي أو الموضوعاتي، باعتماد نموذج يحتوي على عناصر ثابتة واخرى متغيرة، فالثابت هو افعال الشخصيات ووظائفها، فإنها لا تتغير لأن الوظيفة عنده هي عمل الشخصية، والمتغير هو أسماء الشخصيات واوصافها، من هنا فقد استنبط من مئة حكاية روسية احدى وثلاثين وظيفة لا يمكن لأي شخصية أن تخرج عنها، ولا يشترط أن تكون موجودة كلها في كل قصة ولكن اي قصة لابد وأن تحوي عددا منها[14]

وظائف الشخصيات

اولاً: غياب الشخصية، و يتجلى بذهابها إلى الحرب أو بموتها[15]، وقد تمثلت هذه الوظيفة في سيرة شخصية الإمام الحسين عليه السلام واعلانه انه ذاهب للحرب التي ستنتهي به إلى الموت الحتمي المخطوط على ولد ابن ادم مخط القلادة على جيد الفتاة بقوله ((خير لي مصرع انا لاقيه كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء ... الآ من كان باذلًا فينا مهجته، موطنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فاني راحل مصبح إن شاء الله))[16]، كما تجلى الخروج والإيماء بالتضحية والاستشهاد في سبيل الله بقوله لعبد الله ابن عمر الذي أشار عليه بصلح اهل الضلال وحذره من القتال:

((يا أبا عبدالرحمن أو ما علمت أَن من هوان الدنيا على الله أَن رأس يحيى ابن زكريا يهدى إلى بغي من بغايا بني اسرائيل ، يا ابا عبدالله لا تدعن نصرتي))[17]

كما تجلى بخروجه عليه السلام من مكة والمدينة بالعائلة والصحب ووصولهم إلى كربلاء في اليوم الثاني من المحرم فلما وصل كربلاء سأل عنها بقوله:((ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء فقال: انزلوا ها هنا والله مخط قبورنا، وهنا والله سبي حريمنا، بهذا حدثني جدي رسول الله))[18].

وفي هذه النصوص تبرز شخصية الإمام الحسين عليه السلام في سيرة الطف لتؤدي وظيفة الراحل إلى الموت والشهادة لأجل ما يؤمن به من قيام التغيير والعطاء للإنسان لإصلاحه وفقاً لما أجمله في قوله:

((ما خرجت اشرًا ولا بطرًا، ولا ظالمًا ولا مفسدًا، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي خرجت كي أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين))[19]

استنادًا لتصنيف بروب[20] فالتجلي الأبرز بالنسبة لهذه الوظيفة في شخصية البطل الثائر المتمرد على الظلم، المقدم على الموت، الخارج إلى أرض كربلاء، المعلن أنها ستكون قبورهم ومسبى نسائهم، ومحط رحالهم في اشارة وصفية دلالية تعطي لتقنية المكان حقها الكبير ووقعها العظيم؛ إذ تكمن قيمة المكان حين تتفاعل فيه شخصيات وتتبلور فيه الأحداث والزمن بصورة دينامية تجعل من النص خلاقًا للأفكار وتصورات القارئ بصفته الكيان الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان وبيئته لينمي الأحداث وينتج التفاعلات[21]، التي ابقت نصوص سيرة الواقعة حية عبر القرون المتعاقبة.

ثانياً: وظيفة التحذير

وهي وظيفة قامت بها أكثر شخصيات واقعة الطف بدءا من الإمام الحسين عليه السلام إلى عائلته وانصاره، إلى خصومه ومحبيه الذين حذروه من ظلم بني امية اذا ما خرج لقتالهم، من هنا نستعرض بعض الشخصيات التي مارست وظيفة التحذير، على وفق التسلسل الزمكاني لأحداث واقعة الطف ؛اذ إن لتقنية الزمان والمكان الأثر الكبير في بنية السيرة فاذا كانت الرواية في المقام الأول فنًا زمنيًا فهي أيضا في بعض تكويناته تخضع لمقاييس مثل الإيقاع والسرعة فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان[22]، واعطاء النص دينامية وحيوية كبرى وقد تجلى التحذير بوصفه وظيفة في مراحل سيرة الطف وقد قام به عدة شخوص وهو من التقسيمات الشخصية التي صنفها بحسب الأدوار، فهناك دور تقوم به عدة شخصيات، وهناك ودور تقوم به شخصية واحدة، وهناك عدة ادوار تقوم بها شخصية واحدة[23]، فالتحذير وظيفة قام به عدة اشخاص وهم على النحو التالي :

_ عبد الله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وكلهم شخصيات أساسية ورئيسة في مسيرة وأحداث ومقدمات واقعة الطف ومدخلاتها ومخرجاتها، وهم قاموا بفعل التحذير في المدينة المنورة وحذروا الإمام الحسين عليه السلام من ظلم بني امية، وان خروجه قد يؤدي إلى مقتله، وقد اجاب الإمام الحسين عليه السلام لهم بقوله :

((إنّ رسول الله قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه، فخرج ابن عباس وهو يقول وآحسيناه))[24]

_ تحذير محمد بن الحنفية ، فقد مارس وظيفة التحذير كشخصية من الشخصيات المركزية ، وقام بدور المساعد أو المانح للنصح، وذلك في الليلة التي اراد فيها الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة، فقال له:

((يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بابيك واخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعز من بالحرم وأمنعه .

فقال الإمام عليه السلام: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت))[25]

_هاني بن عروة المرادي، وهو من أعيان الكوفة ومشايخها، فقد مارس وظيفة التحذير حين طلب منه عبيد الله بن زياد تسليم مسلم بن عقيل أو يقوم بقتله فقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك ، فقال هانئ : إذا والله تكثر البارقة حول دارك ، فقال ابن زياد : والهفاه عليك ، أبا البارقة تخوّفني ؟ وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه فحذّره هاني بقوله:

((إذًا تكثر البارقة حولك، وهو يظنّ أنّ مرادا وهي عشيرته قد تمنعه،ثم قال: أدنوه منّي فادني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته ، ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته، حتى كسر القضيب))[26]، فالتحذير قد ورد هنا بعبارة(تكثر البارقة) وهي كناية عن بريق السيوف لعشيرة مراد، يحذر ويهدد بها عبيد الله بن زياد، فالتحذير من شيء ما، والأمر بشيء ما لخطورة عواقبه، وظيفة من وظائف الشخصية السيرية.

_ الطرماح بن عدي الطائي، ((التقى الإمام الحسين عليه السلام في منطقة العذيب وسأله الإمام عن رأي الناس خلفه، فاخبره بأنّ الأشراف عظمت رشوتهم، وقلوب سائر الناس معك والسيوف عليك، واخبره بقتل قيس بن مسهّر الصّيداوي، وقال له الإمام الحسين عليه السلام منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلًا، فقال الطرماح : انشدك الله أن لا تقدم عليهم فاني لا ارى معك احدا وسر معنا إلى جبل آجا، امتنع به فإنا قد امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر، وستأتيك طي رجالا وركبانا وانا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، فجزاه الإمام الحسين عليه السلام خيرا))[27]

وهنا نلحظ اجتماع وظيفتين قامت بهما شخصية الطرماح، وهما: التحذير والاقتراح، كما هو بيّن في اقتراحه على الإمام الحسين عليه السلام أن يمضي معه إلى قومه، كما تجلّت وظيفة مخالفة الاقتراح والتحذير من قبل الإمام عليه السلام، ومخالفة التحذير تعد عنصرا ثنائيا في الوظيفة[28] ،التي تقوم بها الشخصية في النصوص الأدبية؛ ومثلما قام الطرماح بوظيفة التحذير والاقتراح، فقد ادى الإمام الحسين عليه السلام وظيفة مخالفة التحذير والاقتراح واستمرّ ماضيا في طريقه إلى كربلاء.

_ الإمام الحسين عليه السلام يمارس التحذير في قصر بني مقاتل، حيث ((سار من منطقة عذيب الهجنات حتى نزل القصر فرأى فسطاطا ورمحا وفرسا واقفا، فسال عنه، فقيل هي لعبيد الله بن الحرّ الجعفيّ، فبعث إليه الحجاج بن مسروق الجعفي ودعاه إلى نصرته، وبعد حوار طويل رفض فيه ابن الحر مناصرة الحسين عليه السلام حذّره ونصحه أن لا يسمع واعيته بقوله: إني أنصحك أن لا تسمع واعيتنا، فمن سمع واعيتنا ولم ينصرنا أكبّه الله على منخريه في النار))[29]

ثالثاً: وظيفة الإقناع

وهي وظيفة كثيرًا ما تلجأ اليها الشخصية لتمرير أفكارها وما تؤمن به إلى الآخرين، وقد يكون الشخص المستعمل لوظيفة الإقناع فاضلًا وصادقًا، وقد يكون ظالمًا وقاتلًا لتبرير أفعاله وأقواله، وكثيرًا ما نجد كفة شخصيات معسكر الامام الحسين عليه السلام هي الأرجح في لجوئها إلى استثمار هذه الوظيفة في سبرهم نحو الاقناع ، كما في خطب السيدة زينب وام كلثوم والإمام السجاد في أهل الكوفة والشام، وامام عبيد الله بن زياد وأمام ويزيد ابن معاوية ، كما نجدها حاضرة في اقوال شخصية الإمام الحسين عليه السلام في محاولة لأقناع المعترضين عليه أو تلك التي مارسها خطابيًا مع الجيش المعادي.

كما أنّنا نجد بوضوح أن الطرف الأخر الشرير قام باستعمال جملة من الوسائل لإقناع الآخرين في تبنّي اطروحتهم، والالتحاق بهم في قتل ومقاتلةالامام الحسين عليه السلام وردّ حججه وأفكاره.

ومن تجليات هذه الوظيفة ما أجاب به الإمام الحسين عليه السلام أخاه محمد بن الحنفية حينما سأله: ((فما حداك على الخروج عاجلا؟

فقال له عليه السلام: إنّ رسول الله قد أتاني بعد ما فارقتك، فقال يا حسين أخرج فانّ الله شاء أَن يراك قتيلا ، فقال محمد بن الحنفية : إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: فما حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟قال له الإمام الحسين عليه السلام: قد قال لي رسول الله (صلى الله عليه واله) إن الله شاء أَن يراهنّ سبايا وسلم عليه ومضى)) [30]

ومثله في ممارسة وظيفة الإقناع ما فعله الإمام الحسين عليه السلام بتقلده سيف رسول الله، وعمامة رسول الله، ليمارس الإقناع بإقامة الحجة بقوله:

((أنشدكم الله هل تعلمون أَنّ هذا سيف رسول الله انا متقلده؟

قالوا: اللهم نعم.

ثم قال :أنشدكم الله هل تعلمون أَنّ هذه عمامة رسول الله انا البسها؟ قالوا: اللهم نعم [31] ومنها التذكير بنسبه صلى الله عليه وآله بقوله: أنشدكم الله هل تعلمون أَنّ جدّي رسول الله، وامي فاطمةبنت محمد، وأنّ أبي علي بن أبي طالب،... وأَنّ جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلامًا، وأَنّ حمزه سيد الشهداء عم ابي، وأَنّ جعفر الطيار في الجنة عمي، وأَن علياً أول الناس اسلامًا وأجزأهم علمًا، وأنّه ولي كل مؤمن ومؤمنة، فبمَ تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض غدًا، ولواء الحمد بيد أبي يوم القيامة))[32]، وهنا يقوم معسكر الأعداء برد الإقناع بوصفه وظيفة بأخرى تقابله تتمثل بوظيفة الامتناع عن الاستجابة بقولهم:

((قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشانا))[33]

ولقد تميزت خطبة السيدة فاطمة الصغرى في اهل الكوفة بعمقها وجنوحها للعمق البياني في التمثيل والاستشهاد الأدبي بالصور الجمالية؛ لتعميق الاقناع فتقوم الشخصية هنا بتمام دور الوظيفة الاقناعية لشخصية تصنف على انها من ابطال الواقعة فتقول ردا على من افتخر منهم فقالت:

((تبا لكم يا أهل الكوفة أي تراث لرسول الله قبلكم، وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار وافتخر بذلك مفتخركم فقال :

نحن قتلنا عليًا وبني علي بسيوف هندية ورماح

وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأيّ نطاح

بفيك أيّها القائل الكثكث والأثلب[34]، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطّهرهم وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقع كما أقعى أبوك، وإنّما لكلّ امرئ ما قدّمت يداه، أحسدتمونا ويلا لكم على ما فضّلنا الله عليكم.

فما ذنبنا أن جاش دهرا بحورنا وبحرك ساج لا يواري الدعامصا[35]

((ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ))[36]

وهنا نلحظ السمة الأدبية، والتي تجلت في الصور البيانية والجمالية والاستشهاد بالأبيات الشعرية اثناء الخطاب، ورد الشعر بالشعر والتمثيل بأَنّ أهل البيت كالبحر الهائج عزا، وكرما، وعلما، وحلما، وبحرهم اي الأعداء جاف، قاع لا يواري الدويبة الصغيرة التي تغوص في الماء، وهو غاية الابداع في التمثيل ورسم الصور الجمالية مع الالتفات لزمكان الشخصية المتحدثة وحالتها المتحدثة أمام اعدائها، وفي بيئة طاردة محكومة من قبل الاخرين،

كما انها قامت بأداء وظيفة الإقناع، والنصر، والصراع الفكري والعقائدي مع المخالفين، فالإقناع وظيفة، والانتصار وظيفة، وادارة الصراع وظيفة وكلها وظائف للشخصية الأدبية تجلت في فاطمة الصغرى اثناء خطبتها في الكوفة.

رابعاً: وظيفة الشر

تكمن أهمية هذه الوظيفة في أنّه عن طريقها تنشأ الحركة الفعلية للحكاية في الغياب، ومخالفة التحذير، والتسليم، ونجاح الخدع، وكلها تمهد الطريق لهذه الوظيفة وتخلق احتمال حدوثها وتسهل هذا الحدوث ببساطة، ويبدأ التعقيد بفعل الشرير بأفعاله المتعددة ذات الصور المتباينة، كالقتل، والجرح، والضرب، والتقطيع، والاعتقال[37]، والسبي وقطع الرؤوس وكلها صور قد ظهرت واستبانت في واقعة الطف والتصقت بشخصيات أبطال مزيفين فالبطل المزيف المضاد الأول، الذي مارس الشر هو يزيد ومن ثم عبيد الله بن زياد، وثم قادة الجيش الأدنى منهم فالأدنى، من قادة الجند الذين قاموا بالقتل والترويع، والتمثيل بجثث الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحابته رضوان الله عليه، ومن تجليات رسم شخصية البطل الشرير الزائف ما قاله الراوي عن يزيد:

((ثم ادخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلّف من أهله على يزيد، وهم مقرّنين بالحبال، ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي الإمام السجّاد ورأته زينب فنادت بصوت حزين يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا بن مكة ومنى، يا ابن زمزم والصفا، يا ابن فاطمة الزهراء، ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكث به ثنايا الحسين عليه السلام، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنكث ثغر الحسين عليه السلام.... وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسلْ

فأهلوا واستهلوا فرحًا * ثم قالوا: يا يزيد لا تُشلْ

قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلناه ببدر فاعتدلْ

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزلْ

لست من خندف إن لم أنتقم * من بني أحمد ما كان فعلْ

فقامت زينب بنت الإمام علي بن ابي طالب فخطبت))[38] لتردّ عليه في خطبه طويلة كان فيها التقريع، والذم، والوعد والوعيد، ورد خطابه وابياته الشعرية بالتفصيل الذي ذكره أصحاب السير، في مشهد تظهر فيه شخصية الشرير، لتمارس جميع الأفعال الوظيفية لشخصية الشرير.

ومن مواقف الشخصيات التي احتلت دور البطل الزائف وقامت بوظيفة الشر ما أورده الرواة من قيام عبيد الله بن زياد بضرب هاني ابن عروة بعد رفضه تسليم مسلم بن عقيل بعد ان قال له: ادن مني فدنا منه فاستعرض وجهه بالقضيب الخيزران فكسر أنفه وجبينه وتناثر لحم خده على لحيته، وسالت الدماء على ثيابه وانكسر القضيب[39] وانتهى امره إلى السجن ثم إلى الشهادة.

ومن الشخصيات المساعدة التي مارست الشر وظيفة صالح بن وهب المزني قال الراوي: ((ولمّا اثقل الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ طعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته، فسقط الحسين عليه السلام من فرسه إلى الأرض على خده الأيمن، ثم قام صلوات الله عليه))[40]

ومن الشخصيات التي تجلى فيها الشر وكان لها دور البطولة الزائفة المضادة شخصية الشمر بن الجوشن وكان قائدا في جيش الكوفة ، قال الراوي وهو يصف تحريض الشمر على الشر وقتل الحسين عليه السلام : ((وصاح الشمر بأصحابه ماذا تنتظرون بالرجل، فحملوا عليه من كل جانب فطعنه زرعة في نحره فسال دمه... فقال عمر بن سعد لرجل مقاتل انزل ويحك إلى الحسين عليه السلام فارحه ويقصد اقطع راسه فبادر اليه خولي بن يزيد الأصبحي يحتزّ رأسه فارتعد فنزل اليه سنان ابن انس النخعي فضربه بالسيف على حلقه، وهو يقول: والله إنّي لأحتزّ رأسك وأعلم

أنك إبن رسول الله))[41]، وعمر بن سعد من الشخصيات الأخرى التي تجلى فيها الشرّ و كان لها دور البطولة الزائفة المضادّة ومارس وظائف الشخصية الشريرة كما ينبغي لها بتمام دورها وكمالها.

ومن الأمثلة السيرية قول الراوي: ((ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطأ الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة فداسوا ظهر الحسين عليه السلام وبطنه بحوافر خيلهم حتى رضوا ظهره وصدره، وقال الراوي وجاء هؤلاء العشر لعبيد الله بن زياد فقالوا:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر****** بكل يعبوب شديد الآسر

فامر لهم عبيد الله بن زياد بجائزة يسيرة))[42]

كما اننا نلحظ إنّ الشخصيات اعلاه قد تمظهرت في وظائف اخرى غير الشر بوظيفة المطاردة للضحية[43] حتى بعد موتها ووظيفة النصر المفترض على الخصوم، وامعنت في وظيفة الصراع الذي يتجلى في جميع جنباتها وافعالها؛ لتكشف الشخصية عن عمق الصراع الممتد جذوره إلى القدم، وهذا ما كشفت عنه الشخصية الأولى التي اخذت دور البطولة الزائفة المضادة من خلال قراءتها لأبيات ابن الزبعرى والتي تمثل بها يزيد وتحدث عن بدر، وخاطب اجداده، وتكلم عن وظيفة الملك المقابلة لنبوه بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا ******* خبر جاء ولا وحي نزل

ومن تجليات الأدبية في النصوص السيرية التي ذكرناها هو إنّ تقنية الشخصية هنا قد تمظهر في وجود خارجي وكأنها كائن حي فوصفت ملامحها، وقاماتها وصورتها وملابسها، وأهواءها وهواجسها، واعمالها وآلامها وسعادتها وشقاوتها، فهي تلعب الدور الأكبر في اي عمل سيري، ويعود العناية الفائقة برسم الشخصية أو بناءها في العمل الروائي لهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة، والأيديولوجيا السياسية من جهة اخرى[44]، وهذا ما وجدناه في جمله من نصوص واقعة الطف التي اولت عناية كبرى برسم التفاصيل الجمالية للشخصيات السيرية فيها لتجعلها حيه ماثلة امام المتلقين في مختلف العصفور.

الخاتمة:

تجلى للباحث أن الشخصية تعد في واقعها اندماجًا اجتماعيًا، ومجموعًا منتظمًا من المؤهلات الفطرية والمكتسبة، تؤهل صاحبها للتكّيف بكل ما يحيط بها من كائنات حية، وأنّه يمكن للشخصية أن تؤدي وظائف متنوعة في السرد السيري استنادًا إلى ما تتمتع به من سجايا وملكات وصفات، وأنّ هناك وظائف التصقت بشخصيات الطف وتمظهرت بها، فكانت الوظيفة بها عملاً للشخصية، وأن هناك وظائف قد تجلت وبرزت في نصوص الواقعة كان من أجلاها وظيفة الغياب، فالتجلي الأبرز بالنسبة لهذه الوظيفة قد تمثل في شخصية البطل الثائر المتمرد على الظلم، المقدم على الموت، الخارج إلى أرض كربلاء ، كما برزت في النص الطّفي وظيفة التحذير كوظيفة قام بها عدة أشخاص انطلاقًا من أدوارهم الوظيفية تمهيدًا لوظيفة الاقناع، لتقوم الشخصية هنا بتمام دور الوظيفة الاقناعية للشخصيات المقابلة ، كما تجلت لنا وظيفة الشر بشكل واضح، حيث يبدأ التعقيد بفعل الشرير بأفعاله المتعددة ذات الصور المتباينة من قتل، وظلم، وغيره مما تجلى في النصوص الطفية.

الهوامش

([1]) لسان العرب : ابن منظور: مادة شخص45
([2]) المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى :475
([3]) ينظر: البنية الحوارية :55
([4]) المعجم الادبي : عبد نور :146
([5]) ينظر: في نظرية الرواية :عبد الملك مرتاض:35
([6]) ينظر: المصدر نفسة :36
([7]) معجم مصطلحات نقد الرواية: زيتوني لطيف:42

([8]) المعجم الادبي : عبد نور:147
([9]) ينظر: التحليل الوظائفي للشخصية وفق منهج بروب :علي محمد عسيري :1105
([10]) معجم المصطلحات الادبية : محمد علي المحامي : 195
([11]) ينظر: في نظرية الرواية : عبد الملك مرتاض :91
([12]) ينظر: ينظر رسم الشخصية في رواية غالب هلسا : 47
([13]) ينظر: المفاهيم السردية : تودوروف : 77
([14]) ينظر: التحليل الوظائفي للشخصية الروائية: 1112
([15]) ينظر: المصدر نفسة :43
([16]) الملهوف على قتلى الطفوف - السيد ابن طاووس: 126
([17]) الملهوف على قتلى الطفوف - السيد ابن طاووس :102
([18]) المصدر نفسة :139
([19]) بحار الأنوار: العلامة المجلسي :ج ٤٤ : ٣٢٩
([20]) ينظر: التحليل الوظائفي للشخصية الروائية وفق منهج بروب: علي محمد عسيري: 1123
([21]) ينظر: تقنية السرد في رواية الجنرال خلف الله مسعود : الامعاء الخاوية : مهى مباركي :34
([22]) ينظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق : امنة يوسف: 34
([23]) ينظر: مفاهيم سردية : ترودوروف: 77
([24]) الملهوف على قتلى الطفوف - السيد ابن طاووس: 101
([25]) المصدر نفسه :128
([26]) مقتل الحسين : المقرم : 156
([27]) المصدر نفسة :192
([28]) ينظر: مورفولوجيا الحكاية الخرافية : بروب : 85
([29]) مقتل الحسين :المقرم : 195
([30])الملهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس :128
([31]) المصدر نفسة : 147
([32]) نفسة : 147
([33]) نفسة: 147
([34]) الكثكث: فتات الحجارة والتراب: الصحاح: 1/94 ، ومثله: الأثلب كما ورد في الصحاح :1/290
([35]) والدعموص: ذويبة تغوص في الماء :الصحاح للجوهري:3:1040
([36]) الملهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس: 197
([37]) ينظر: التحليل الوظائفي للشخصية وفق منهج بروب :علي محمد عسيري : 1115
([38]) الملهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس :215
([39]) ينظر: الملهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس:118
([40]) ينظر: المصدر نفسه: 174
([41]) نفسه : 176
([42]) الملهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس: 182
([43]) ينظر: مورفولوجيا الحكاية الخرافية: بروب:122
([44]) ينظر: في نظرية الرواية :مرتاض:76

المصادر

1. القران الكريم
2. بحار الانوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، 1983 م.
3. بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح : زاوي احمد، اطروحة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية، جامعة وهران ، كلية الآداب والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها،2015 م.
4. التحليل الوظائفي للشخصية الروائية وفق منهج فلادمير بروب، رواية قلب الليل لنجيب محفوظ انموذجا، المجلد الثامن من العدد الثالث والثلاثين ، لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
5. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: آمنة يوسف، الطبعة الاولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ، 2015م
6. تقنية السرد في رواية الجنرال خلف الله مسعود : الامعاء الخاوية لمحمد الكامل بن زيد: مهى مباركي كلية الآداب واللغات ،رسالة الماستر في الآداب واللغة العربية الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، قسم الآداب واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر بسكرة 015 م/ 2016 م.
7. رسم الشخصية في رواية غالب هلسا : ابراهيم خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية ،2003.
8. الصحاح للجوهري: الكتاب: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
9. في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد :عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، الطبعة الأولى، 1990م.
10. لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة (ج، م. ع) ، الطبعة الثالثة، 2009.
((المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى :475
11. المعجم الادبي : جبور عبد نور: دار العلم للملايين/بيروت لبنان الطبعة الاولى 1979146
12. معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقر – تونس، الطبعة الأولى، 1968م.
13. المعجم الوسيط تأليف: إبراهيم مصطفى – أحمد حسن الزيات – حامد عبد القادر – محمد علي النجار ، ترجمة: ابن سرور محمد أويس – عبد النصير طبع: المكتبة الرحمانية، لاهور سنة الطبع: 2004م
14. معجم مصطلحات نقد الرواية: زيتوني لطيف. مكتبة لبنان - ناشرون، 1998
15. المفاهيم السردية ، تزفيطان تودوروف، ترجمة عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف ، الطبعة الاولى، 2005، مديرية الآداب والفنون.
16. مقتل الحسين: عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى،2002م.
17. الملهوف على قتلى الطفوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ، تحقيق فارس تبريزيان ، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران –قم ، الطبعة الثالثة، 1422هج .
18. مورفولوجيا الحكاية الخرافية ترجمة احمد عبد الرحيم نصر كتاب النادي الادبي الثقافي الطبعة الاولى 1989.